مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مسيحيو الهند من خلال الإرساليات التنصيرية للرهبان خلال القرنين 13 و14م

Indian Christians through the Missions of Friars in 13&14 century

اسم ولقب المؤلف المرسل: فاطمة زهرة ساعد- Saad Fatima Zohra- صص253-264
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر).
البريد الإلكتروني: Fatima.saad@univ-alger2.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: عبد العزيز بوكنة- Boukenna Abdelaziz
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر).
البريد الإلكتروني: boukscientific@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/12/09 تاريخ المراجعة: 2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/02/15

الملخص: يتناول البحث المسيحية في الهند بناء على روايات الرحالة والرهبان الذين زاروها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، على اعتبار أن هذين القرنين شهدا نشاطا كبيرا للرهبانيات الدينية التي برزت في مقدمتها رهبانيتي الفرنسيسكان والدومنيكان، ومما زاد من أهميتها بعثات ممثليها إلى مختلف أنحاء العالم، والشرق الأقصى الذي كان مليئا بالغموض وغير واضح كفاية بالنسبة للغرب الأوروبي، مع التركيز على بعثة الراهب الدومنيكاني جوردانيس القطلاني باعتبارها الأطول عمرا في المنطقة، والتي توجت بتعيينه أسقفا في كولومبوم (كولان) إحدى مدن الهند على ساحلها الجنوبي.

يهدف البحث إلى تعريف موجز للمسيحية بالهند وتاريخها بها وإلى أتباعها الذين ينتمون إلى الكنيسة الشرقية، وإلى إبراز وجهة نظر الرحالة والرهبان بصفة خاصة إلى مسيحيي الهند خلال الفترة المذكورة من جهة، وإلى نشاطهم بها من جهة أخرى، وإلى النتائج التي حققوها رغم أنها لم تستحوذ على إهتام البابوية مقارنة بالمناطق التابعة للحكم المغولي أو حتى بلاد المغرب والأندلس، بسبب موقعها الجغرافي البعيد إذ أنها لم تكن في بادئ الأمر إلا طريق بحريا للذهاب إلى الصين أو محطة تجارية، بالإضافة إلى أنها لم تكن ضمن المخطط التنصيري في بداية الأمر كونها لم تشكل خطرا يهدد كيان أوروبا والكنيسة

الرومانية، كما يهدف البحث إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين النشاط التنصيري للرهبان في كل من الهند والصين.

الكلمات المفتاحية: الهند؛ النساطرة؛ السريان؛ القديس توما؛ البعثات البابوية؛ الرهبانيات؛ جوردانيس القطلاني؛ التعميد؛ الكاثوليكية؛ أبرشية.

ABSTRACT: *The study deals with Christianity in India based on the accounts of travelers and monks who visited it during the thirteenth and fourteenth centuries AD, considering that these two centuries witnessed a great activity of the religious orders that emerged in the forefront of the Franciscans and Dominicans. Which increased its importance was the missions of its representatives to various parts of the world, and the Far East, which was full of mystery and not clear enough for the Europeans, with a focus on the mission of the Franciscan monk Jordanus Catalani, the longest-lived watch in the region, and his mission culminated in appointing him a bishop.*

The research aims to briefly define Christianity in India and its history therein and to its adherents who belong to the Eastern Church, and to highlight the viewpoint of travelers and monks in particular to the Christians of India during the aforementioned period on the one hand, and their activity there on the other hand, and to the results that they achieved even though it did not capture The interest of the papacy compared to the regions of the Mongolian rule or even the countries of the Maghreb and Andalusia, because of its remote geographical location as it was just at first a transit road to China or a commercial station, in addition to that it was not part of the missionary plan at the beginning because it did not pose a threat to an entity Europe and the Roman Church, as the research aims to highlight the similarities and differences between the missionary activity of monks in both India and China.

Keywords: India; Nestorian; Syrian; St; Thomas; Papal Mission; Orders; Jordanus Catalani; Baptism; Catholic; Diocese.

المقدمة: عرف القرنان 13 و14م، وما شهداه من حملات الغزو المغولي للعالم نشاطا واسعا للرهبانيات الدينية: الفرنسيسكان والدومنيكان على وجه التحديد، سافر الرهبان الذين ومثلوها ضمن بعثات بابوية في أغلب الأحيان إلى مختلف المناطق في العالم لنشر تعاليم الكنيسة الرومانية، بعد أن برز نشاطهم في بداية الأمر خلال إرسالهم إلى الحكام المغول لدرء خطرهم، فاقترنت روايات هؤلاء الرهبان والتجار الأوروبيين عن الصين بالهند نظرا

للموقع الجغرافي الذي جعل الاثنتين على اتصال دائم لا مفر منه، وإلى العلاقات التجارية التي ربطت بينهما بحكم الطريق البحري الذي اتخذته معظم السفن للوصول إلى الجزر المجاورة، أتت روايات هؤلاء على ذكر مفصل لتلك المناطق، وعلى الرغم من أن رواياتهم عن الهند كانت موجزة جدا بالمقارنة مع الصين إلا أنها تطرقت إلى جغرافية المنطقة وأهم معتقدات سكانها وعن المسيحيين بها، ومن هذه النقطة نطرح الإشكالية حول طبيعة المسيحية في المنطقة؟ وعن البعثات الكاثوليكية التي مثلها هؤلاء الرهبان؟ وعن إمكانية تعايش مسيحيي المنطقة مع المسيحية الدخيلة التي سعى الرهبان إلى نشرها في الأوساط الشرقية؟ ومن هذا الأساس يسعى البحث إلى ابراز رؤية الجماعات الرهبانية خلال فترة العصور الوسطى للمسيحية الهندية بما في ذلك النساطرة.

1-1 تاريخ دخول وانتشار المسيحية في الهند: ارتبط وجود المسيحية وتاريخ دخولها إلى الهند بالعديد من الروايات والأساطير التي تفتقر إلى سند موثوق، إذ تشير أقدم السجلات الهندية إلى أنها انتشرت فيها عن طريق القديس توما (St. Thomas)[1] الذي وصل إليها في حدود سنة 52م، حيث توجت مهمته ببناء سبع كنائس على طول ساحل مالا بار (Malabar)، [2] ليتوجه بعدها إلى ساحل معبر (Maabar) أين مات هناك سنة 68م.[3]

وعلى الرغم من أن دخول المسيحية على يد توما لا يزال غير مؤكد ومحل شك، دفع المؤرخين إلى الاعتقاد أن انتشارها خلال القرون الثلاثة الأولى مجرد تلفيق، وبغض النظر عن مدى صحة التاريخ أو عدمه، إلا أنه يعكس جانبا من جوانب اقتران التدوين الديني بالأساطير في تلك الفترة، وخصوصا الشرق الأقصى الذي كان مجهولا للغرب الأوروبي والعالم.

احتلت أسطورة الراهب يوحنا (Prester John) [4] التي ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي هي الأخرى نصيبا في الروايات المتعلقة بمسيحيي الهند، إذ ذاع صيته على أنه ملك مسيحي يسكن الشرق البعيد، وقد مثلت الهند أحد أجزاء مملكته الواسعة، استمرت هذه الاسطورة التي استند عليها مبعوثي العصر الوسيط وتداولوها في رواياتهم إلى حدود القرن السادس عشر الميلادي وشملت مناطق أخرى خارج قارة آسيا نفسها.[5]

بالرجوع إلى الأماكن التي نشر فيها القديس توما المسيحية، والتي امتدت على طول السواحل الجنوبية على وجه الخصوص، فهي أكثر مناطق الهند التي تحوي غالبية

مسيحية، ساهمت العلاقات التجارية التي كانت بين الهند ومصر وسهولة تنقل التجار بسبب الطريقين التجاريين، الطريق الأول وهو بحري يربط الهند بالشرق الأوسط، والطريق الثاني من العراق مرورا بالخليج العربي، إلى توافد التجار السريان خلال القرون الأولى وترسيخ المسيحية بالعديد من مناطق آسيا وتحديد المذهب المتبع فيها، لتتوالى هجرات الجماعات السريانية إلى الهند على يد تاجر سمى توما الكنعاني كان تحت رعاية الجاثليق المشرقي آنذاك، كما تسببت موجة الاضطهاد الديني ضد المسيحيين في عهد شابور الثاني (279-309م) إلى هجرة المزيد من السريان المشارقة إلى مالابار، لتتوطد العلاقات بين كنيسة توما والكنيسة المشرقية التي صار مسؤولوها يتلقون هدايا من الهند والصين.(6)

2.1 أوضاع المسيحيين بالهند وعلاقتهم بكنيسة المشرق: رغم أنه من الصعب تتبع أوضاع المسيحيين بالهند أو حتى علاقتهم بالمشرق، وذلك لأن تواجدهم في المنطقة خلال فترة العصور الوسطى مثل أقلية ضمن غالبية وثنية، وحسب مؤرخي العصور الوسطى والآثار التي تم العثور عليها، تؤكد وجود مجتمعات مسيحية في المنطقة خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر، والتي طالما ادعت أن توما الرسول هو من نشر المسيحية بينها وافتخرت بذلك، وخلال القرون الأولى وحتى التي سبقت الفترة المدروسة تم تعيين وإرسال العديد من الأساقفة إلى الهند من قبل الجاثليق في الشرق، ويمكن القول أن تبعية كنيسة الهند لكنيسة المشرق يعود إلى حوالي سنة 650م في عهد الجاثليق اشيوعياب الثالث (Icho Yahb III)، ورغم أن المسيحيين في المنطقة مثلوا أقلية إلا أن ذلك لم يمنع بعضا منهم من الازدهار وعيش حياة كريمة، (7)وبتأكيد من المؤرخ السرياني المشرقي عمرو بن متى أن الهند كانت إحدى المطرانيات التابعة لكنيسة المشرق في عهد الجاثليق ياهبلاها الثالث (yahbalaha III) من سنة 1281م إلى سنة 1317م،(8) ورغم أن معلوماتنا عن أوضاع المسيحيين بالمنطقة قليل سواء في المصادر السريانية أو حتى الأجنبية والتي لم تفصل كثيرا عنهم، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود العديد من الدراسات الحديثة التي تسعى إلى تمحيص تاريخهم، ودراسة تلك المصادر.

2. مسيحيو الهند في روايات الرحالة والرهبان:

1.2 نشاط الرهبان في الهند: ارتبطت معرفة الأوروبيين للهنود كما ذكرنا أعلاه ببعثة القديس توما إليها ونشره للمسيحية هناك، ويعد الرحالة الشهير ماركو بولو (Marco

Polo)[9] الذي زار الهند في حوالي 1293م خلال عودته من الصين إلى بلاده، أول الأوروبيين السباقين إلى ذكر مسيحيي الهند والقديس توما برواية جديدة ومغايرة تماما لما كان شائعا في العصور الوسطى الأولى عن أسطورة توما وطريقة موته، فوفقا للنص الغنوسي (Gnostic) لسفر أعمال توما، نجح في شفاء زوجة الملك التي اعتنقت المسيحية، ونتج عن زهدها بناء على تعليمات توما كوسيلة للوصول إلى الايمان وتغلغله اعتقله حراس الملك وقتل في السجن، ورغم أن النص ملفق إلا أنه حظي بانتشار واسع في أدب العصور الوسطى[11]، أما بولو فيقول إن موته حدث دون قصد من أحد الصيادين الذي راح يصطاد طاووسا غير أن السهم أصاب رقبة القديس توما بدلا من الفريسة، ليموت إثر ذلك ويدفن هناك[12].

ومما يلفت الانتباه أنه في حديثه عن المسيحيين سواء بالصين أو الهند لا يذكرهم على أنهم منشقين، رغم أن مسيحيو الهند يعدون من أتباع الكنيسة الشرقية وبالتحديد على مذهب نسطور[13] الذي يرجح أنه انتشر فيها عن طريق التجار السريان[14]، وحسب الباحثة جانا فالتروفا (Jana Valtrová) [15] فإن النساطرة بالمنطقة هم الذين سيحددون نظرة أغلب المبعوثين الأوروبيين إلى المسيحيين الهنود كما سيتم توضيحه[16].

ربما يعزى موقف ماركو بولو نحو المسيحيين ونظرته إليهم إلى كونه رحالة وتاجر في المقام الأول، وعدم اهتمامه بالدين كثيرا من ناحية أخرى.

يوحنا مونتي كورفينو (John of Montecorvino) مبعوث البابوية إلى الشرق، ومؤسس البعثة الكاثوليكية في الصين التي لاقت نجاحا نسبيا هناك، يذكر في إحدى رسائله أنه دخل الهند سنة 1291م، ومكث بكنيسة القديس توما في معبر (مدينة تشيناي الحالية) أزيد من سنة (13 شهرا) حيث عمد حوالي 100 شخص في مناطق مختلفة، وفي الكنيسة نفسها دفن أحد أعضاء بعثته ورفيقه في رحلته، الراهب الدومنيكاني نيقولا اوف بيستويا (Nicholas of Pistoia) قبل أن يدخل إلى الصين حيث مقر خاقان المغول تيمور أولجايتو (Temur Oljaitu) في تلك الفترة[17].

يقر الرهبان أنفسهم الذين بالغوا في ردة فعلهم في الأماكن التي مارسوا بها نشاطهم، واعتبروا الأشخاص الذين تم تعميدهم على أيديهم قد أصبحوا مسيحيين كاثوليك بمجرد قيامهم ببعض الطقوس، أنهم رغم ذلك ظلوا محتفظين بنفس مبادئهم ومعتقداتهم الأولى،

ناهيك عن أن اعتناق أو التحول إلى الكاثوليكية من قبل النساطرة أو الوثنيين فقط، في حين ظل المسلون واليهود على معتقداتهم.[18]

كان لمناخ الهند والحرارة الشديدة تأثير كبير على مهمة هؤلاء الرهبان إذ تذكر المصادر أن ثلاثة رهبان من أصل سبعة[19]، الذين تم إرسالهم إلى الصين بناء على طلب من مونتي كورفينو لمساعدته فقدوا حياتهم في المنطقة بسبب عدم قدرتهم على التأقلم مع الطقس[20].

ترى الباحثة ماريان دوهرتي (Marianne O'Doherty) [21] أن ذهاب كورفينو إلى الهند مجرد مصادفة وذلك لغياب التخطيط للتنصير بها لأنها لم تشكل خطرا على البابوية وأوروبا، ورغم طلبه الصريح بإرسال الرهبان إليها لنشر المسيحية بين سكانها، إلا أنه لا يوجد أثر ملموس على وجود نشاط فرنسيسكاني أو دومنيكاني قبل وصول الراهب جوردانيس القطلاني في سنة 1321م، والذي سيتم الحديث عنه في مبحث مخصص[22].

مثلت المناطق الساحلية التي ذكرها كورفينو غالبية مسلمة مع وجود أقلية مسيحية ويهودية، مبينا أن المسيحيين بها خاضعين لحكم الأغلبية المسلمة، وكل ما له علاقة بالمسيحية مضطهد من قبل الناس[23]

2.2- بعثة جوردانيس القطلاني (Jordanus Catalani): تعد بعثة جوردانيس القطلاني أحد أبرز حلقات التنصير الكاثوليكي المهمة في الهند خلال القرن 14م، تم توثيق تفاصيل المهمة من المبعوث نفسه في رسالتين [24] وكتابه ميرابيليا (Mirabilia Descripta) الذي ذكر فيه المناطق التي زارها خلال رحلته بما في ذلك وصف مفصل عن الهند.

بدأت بعثة جوردانيس القطلاني سنة 1320م بانطلاقه رفقة أربعة من الرهبان الفرنسيسكان وهم، توماس أوف تولينتو (Thomas of Tolento) الذي كان شيخا وأكبر رفاقه سنا وجيمس القلوري (James the Glorious) وبيتر (peter) وديمتريوس (Demetrius) للانضمام إلى بعثة فرنسيسكانية موجودة بزيتون (Zayton)[25]، كان جوردانيس الدومنيكاني الوحيد ضمن فريق لرهبانية فرنسيسكانية، بالإضافة إلى أن وجهته لم تكن الهند غير أن الظروف جعلت منه أول مبعوث ينتمي إلى رابطة الدومنيكان الذين مكثوا طويلا بها[26].

حسب ما ورد في الرسالة الثانية لجوردانيس كان من المقرر أن يلتحق برفاقه في الصين، إذ توجه في البداية مع رفاقه إلى كولوميوم (Colombum)، لكن عاصفة نقلتهم

إلى تانا (Thana) بالقرب من مومباي حاليا، أين استقبلهم النساطرة هناك، وفي الوقت الذي أكمل طريقه إلى باركو بحكم اتقانه للغة الفارسية أكثر من البقية ومع ذلك فقد تم احتجازه في سوبيرا أين بلغه نبأ اعتقال رفاقه الأربعة الذين تركهم بتانا، وسرعان ما عاد لمساعدتهم لكنه وجدهم قتلوا فما كان منه إلا أن نقل جثثهم بمساعدة شاب من جنوة وجده هناك ودفنهم في كنيسة بسوبيرا.[27]

تعود تفاصيل قتل الرهبان إلى أنه خلال مدة اقامتهم لدى إحدى العائلات المسيحية نشب شجار بين الزوجين، مما دفع الزوجة برفع دعوى ضد زوجها للقاضي الذي طلب منها شاهدا على ذلك لتخبره عن الرهبان، ويبدو أن القاضي ابتعد عن الغرض الأساسي وهو شهادتهم إلى مناظرتهم، وتمحور الجدال بين الملتين حول طبيعة المسيح عليه السلام وحول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبدو أن تطاول الرهبان على الرسول صلى الله عليه وسلم بالسب والشتم وأتباعه دفع القاضي حسب زعم أودوريك البوردينوني [28] إلى إلقاء القبض عليهم، وخلال حكم القاضي بإحراقهم بسبب ذلك، توافد العديد من سكان المدينة ليشاهدوا الحكم غير أنهم نجوا من الموت، ومخافة أن تفسد عقيدة المسلمين الذين اعتبروهم قديسين أمر القاضي بشنقهم من جديد.[29]

يبالغ العديد من المؤرخين ومن بينهم داوسون (Dawson) بإرجاع سبب قتل الرهبان بالمنطقة إلى التعصب الإسلامي في تلك الفترة، والذي صعب من مهمة التنصير ونشر المسيحية.[30]

المتمعن في رواية كل من أودرويك وجوردانيس يلحظ رغم جانبها الأسطوري فصل القاضي المسلم في قضية عائلة مسيحية، ناهيك عن الجدل الديني الذي بلغ أوجه بين المسلمين والمسيحيين في تلك الفترة، والذي يعود سببه دون شك إلى سرعة انتشار الإسلام واتساع النطاق الجغرافي للمسلمين.

بالرجوع إلى بعثة ونشاط جوردانيس في الهند، يقول في كتابه أنه "إذا أرسلت البابوية حوالي مائتي أو ثلاثمائة راهب متمكن في المذهب الكاثوليكي، فلن يمر عام دون أن يشهد تحول الناس بالآلاف إلى المسيحية"، ويضيف أنه خلال تواجده بين النساطرة الذين يصفهم بالمنشقين اعتنق الآلاف منهم المذهب الكاثوليكي، ولولا قلة المساعدين لتمكن هو والرهبان هناك من تنصير الكثير من الهنود بمختلف المناطق رغم قتل المسلمين لهم

وسعيهم هم أيضا إلى إدخال الناس في الإسلام ونجاحهم في ذلك، ويبدو من حديثه أن رهبانا آخرين من غير الأربعة المذكورين أعلاه قتلوا وهم يمارسون نشاطهم التنصيري.[31]

من الممكن أن موقف جوردانيس تجاه المسلمين يرجع إلى النجاح الذي حققه دعاتهم، والذي لا مجال للمقارنة بينه وبين نجاح الرهبان الضئيل.

يطلب جوردانيس في رسالته إلى البابوية العون مقترحا ثلاثة مناطق جيدة لنشر الكاثوليكية بناء على نجاحه في تعميد العشرات من الأشخاص بها، المكان الأول في سوبيرا (Supera) حيث يوجد بها اثنين من الرهبان، وبين سوبيرا وتانا حيث صرح عزمه على تجهيز كنيسة للرهبان الذين سيأتون في المستقبل، والثانية باروكو (Parocco)، أما الثالثة فهي كولومبوم (كولان Koulan).[32]

استمر نشاط جوردانيس بالهند إلى غاية 1327م أو 1328م، وبعد عودته إلى البلاط البابوي في أفينون تم تعيينه أسقفا لكولام (كولومبوم)، التي كانت من أصل ثلاث أسقفيات تابعة لرئاسة يوحنا دي كورا رئيس أساقفة سلطانية في بلاد فارس.[33]

قد نفترض أن جوردانيس، بعد إنجاز مهمته في سلطانية، توجه إلى كنيسته في الجنوب الهندي على الخليج العربي، وهو الطريق الذي سلكه في زيارته الأولى للهند، ولكن يبدو أنه لم يتم تحديد ما إذا وصل إليها أو عاد منها. ويفترض (M. Coquebert-Montbret) أنه فعل الأمرين، لكن هذا يعتمد على الافتراض الآخر، أن كتابه Mirabilia كتب بعد عودته مرة ثانية، لكن السير يولي (Yule) يعتقد أن تأليفه تم قبل خروجه أسقفًا، لأنه لا يشير إلى احتفاظه بهذه المنزلة.[34]

مصير جوردانيس مجهول ومن غير المعلوم إن وصل إلى كولان على أنه أسقف أو ترك خليفة له فيها أم لا، ومن المحتمل أنه مؤسس كنيسة القديس جورج (George) بالمنطقة، التي أشار إليها ماريونولي خلال زيارته لها[35] رغم أن العالم البرتغالي كاردوسو يفترض أنه قتل دون استناده إلى دليل يثبت صحة ذلك[36].

يمكن أن نفترض أن جوردانيس غيّر وجهته، بعد أن أخبره التجار اللاتين أثناء تواجده بالهند أن إثيوبيا أرض خصبة للنشاط التنصيري، مما جعله يبدي رغبته الصريحة بالموت في طريقه إلى إليها.[37]

3.2 البعثات التنصيرية بعد جوردانيس القطلاني: الراهب الفرنسيسكاني أودوريك البوردينوني (Odoric of Perdenone) الذي يمكننا أن نخمن من خلال سجله أنه كان رحالة متجول أكثر منه واعظ بمبادئ الكنيسة الرومانية، سافر بعد طلب من البابوية للالتحاق برفاقه للتنصير، عبر في طريقه إلى الصين العديد من الدول والمناطق، ومن هرمز إلى تانا في حدود سنة 1321م، حيث قام بجمع عظام الرهبان الأربعة الذين قتلوا هناك وأخذها معه خلال استئناف رحلته إلى الصين، مدعيا أن العديد من الكرامات حدثت له خلال رحلته بسبب تلك العظام، أحدها خلال مبيته عند أحد الرهبان المسيحيين بالهند[38].

من الغريب أن يركز الراهب أودوريك على سرد حادثة قتل الرهبان على عكس جوردانيس نفسه رفيقهم في الرحلة، ففي حين ذكرهم الأخير عرضا، نجد أن أودوريك خصص لهم مساحة كبيرة في حديثه عن الهند، وبعد ذكره للكرامات التي حدثت له بسبب العظام يتطرق إلى مسيحيي القديس توما والهند متفقا مع كل من كورفينو وجوردانيس ووصفهم بالمنشقين أو الهراطقة.[39]

أما يوحنا ماريونولي (John Marignolli) الذي ذهب إلى الصين سنة 1342م، في بعثة بابوية بناء على طلب من الخان المغولي نفسه ورعاياه من الآلان الذين تبنوا المذهب الكاثوليكي إثر موت كورفينو وخلو الأسقفية من رئيس، لم يبق طويلا بالصين وقد استغرق الوقت الذي قضاه هناك من ثلاث إلى أربع سنوات، وخلال عودته أبحر من مدينة زيتون إلى الهند. وعكس سالفيه لم يذكر الكثير عن المنطقة أو حتى نشاطه بها باستثناء تسجيل وصوله إلى كولومبوم خلال عيد الفصح حيث بقي مع المسيحيين هناك حوالي سنة، وفي 1348 أو 1349م أبحر باتجاه ساحل معبر لزيارة ضريح القديس توما، بالإضافة إلى قدوم بعض الهنود البراهمة إليه طلبا لتلقي المعمودية.[40]

لاحظت جانا فالتروفا أن ماريونولي هو الآخر يشترك مع بولو في عدم تصنيف المسيحيين هناك حسب مذهبهم ووصفهم بالهراطقة، والذي أثر على حجم المعلومات التي وصلتنا عن مسيحيي الهند، فكلما كانت النظرة إيجابية وودية كانت المعلومات أكثر وبالعكس[41].

لا أتفق مع فالتروفا في أن نظرة هؤلاء الرهبان إلى النساطرة على أنهم منشقين أثر على حجم المعلومات الواردة إلينا عنهم، بقدر ما أثر على صحتها.

بالنظر إلى كل من البعثات باستثناء بعثة جوردانيس، كان هدفها واضحا من البداية وهو نشر المسيحية في الصين، مما أثر على نشاطها بالهند وجعله مؤقتا رغم أنها أمدتنا بمعلومات عن سكان المنطقة وعن المسيحيين بها، كما ينبغي الإشارة إلى أن تعميد السكان الذي كان يقوم به الرهبان بأنفسهم ويفتخرون به، لم يكن بالضرورة تغيير معتقدات أصحابها فبناء على تصريح من أندرو أوف بيروجيا (Andrew of Perogia)[42] أحد المنضمين إلى بعثة كورفينو في الصين أكد أن التعميد في أغلب الأحيان مجرد طقس بسبب عدم بقاء المسيحيين على معتقداتهم[43].

الخاتمة: مثلت المسيحية في الهند أحد فروع الكنيسة الشرقية السريانية التي طالما نظرت إليها البابوية في روما على أنها مجرد هرطقة، والذي أثر على نشاط الارساليات التنصيرية في الهند وجعله ضعيفا بالمقارنة مع باقي المناطق في العالم الشرقي.

أغلب المعلومات التي أوردها الرهبان عن المسيحية والمسيحيين بالمنطقة قليلة جدا، إذ نظر أغلب هؤلاء الذين كلفوا بالتنصير في الهند وحتى الصين إلى مسيحيي تلك المناطق على أنهم منشقين لا على أساس اخوة في نفس الدين.

يتضح أن مجهودات الرهبان في تنصير النساطرة وغيرهم من السكان المحليين وتعميد أعداد كبيرة من الناس لم يكن إلا شكليا، إذ حافظ هؤلاء في أغلب الأحيان على معتقداتهم.

حرص مبعوثو البابوية الذين مثلهم الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان، ومنهم جوردانيس القطلاني إلى توثيق مهماتهم من خلال رسائل وكتب بعثوا بها إلى البابوية لتزويدهم بكل جديد من جهة، وإلى بناء كنائس وأبنية لهم ولرفاقهم اللاحقين من جهة أخرى.

يعوز تاريخ المسيحية بالهند خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، سواء المسيحية الشرقية الممثلة بالسكان المحليين وعلى رأسهم النساطرة، أو المسيحية الكاثوليكية الممثلة بالإرساليات التنصيرية ونشاطها بالمنطقة النقص بسبب قلة المصادر، وبحاجة إلى مزيد من البحث.

الملحق

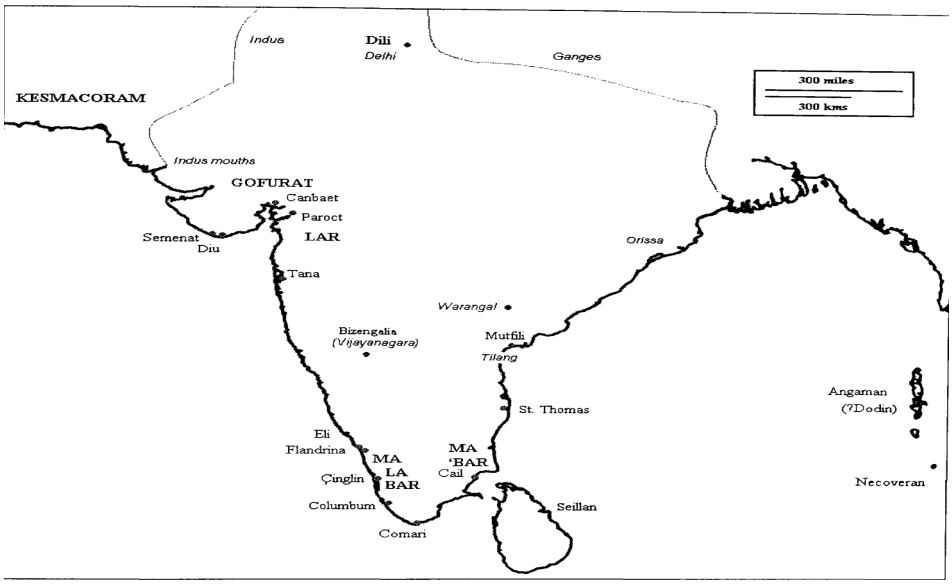

خريطة توضح أبرز مناطق الأقليات المسيحية في الهند التي زارها الرهبان خلال العصر الوسيط(44)

الهوامش:

(1) القديس توما (St.Thomas)، أحد حواري النبي عيسى عليه السلام الاثني عشر، ورد ذكره في الأناجيل ضمن قائمة الرسل. وهو أول من بشر بالمسيحية في الهند أين يزعم أن قبره هناك.

(2) ساحل مالابار (Malabar)، يقع في القسم الجنوبي الغربي لدولة الهند، تقع المنطقة حاليا ضمكن النطاق الجغرافي للأجزاء الشمالية من ولاية كيرالا (Kerala). للمزيد حول المنطقة وتاريخها أنظر:

William Logan, Malabar, victoria institutions, India, 2019, p25.

(3)- Wilhelm Baum and Dietmar W. Winkler; the church of the east; a concise history, vol1, Routledge, London, New York, 2003, p51,52.

(4) الراهب يوحنا، بدأت أسطورة هذا الراهب مع إشاعة انتشرت في أوروبا خلال العصور الوسطى مفادها أن مملكة مسيحية عظمى يقودا ملك قوي، تزامنت أسطورته مع حدثين مهمين، تمثل أولهما في هزيمة السلطان السلجوقي على يد الحاكم القراخطائي، أما الثاني فهو استرجاع زنكي لإمارة الرها سنة 1144م، والذي يرجح أن سبب نشر الإشاعة محاولة ابراز البعد الديني من خلال إيجاد حلفي مسيحي قوي ضد المسلمين، ورغم تصريح روبروك بعد وجود من يعرفون شيئا عن المملكة أو حاكمها، يتحدث ماركو بولو عن حفيده الرابع "الملك جورج"، مؤكدا أنه ملك إحدى القبائل الخاضعة لحكم المغول. للمزيد أنظر: عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،1997م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، ص 18-26.

(5)- Marianne O'doherty; eyewitness accounts of the indies in the later medieval west; reading reception and re-use (c.1300-1500); these PhD university of leeds; 2006, p39,40.

(6) عزيز عطية، تاريخ الكنيسة الشرقية، تر: إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص445-451.

(7)- Wilhelm and Dietmar, Op. Cit, p52-54.---- (8)- Ibid, p55.

(9) ماركو بولو *(Marco Polo)*، رحالة إيطالي (بندقي) مشهور، مكث في بلاط قوبيلاي خان مؤسس سلالة يوان المغولية بالصين من (1271-1293م)، مع والده وعمه، ليعود بعدها إلى بلاده ويروي المناطق التي زارها والأحداث التي شاهدها في كتابه المشهور.

(10) الغنوصية *(Gnostic)*، عقيدة الخلاص بالمعرفة الباطنية، ومن الناحية اللغوية فإن الكلمة تمثل النظرة الغنوصية للروحانية، مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعني "المعرفة"، ارتبط المصطلح بالأفكار الروحية الغربية في التاريخ المبكر للمسيحية. للمزيد أنظر:

Syed M. Waqas, Gnosticism, Origin, History, and Influence on Christianity, bab-ul- ilm, pakistan, U.S.A, p2.

(11)- Janna Valtrovà, indian christians in medieval european travel accounts eastern christianity judaism and islam between the death of muhammad and tamerlane (632-1405), proceedings of the humboldt-kolleg, 2008, p199.

(12) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ت: عبد العزيز جاويد، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ص54،55.

(13) تعد النسطورية أحد مذاهب الكنيسة الشرقية، نشأت في الإمبراطورية البيزنطية، تنسب إلى نسطور السوري(381-452م)، الذي شغل منصب بطريركا للقسطنطينية بين سنتي (428-431م). واعتقد بوجود طبيعتان منفصلتان للمسيح، الأول إله كامل والآخر إنسان كامل، وفي مجمع أفسيس في 431م الذي عقده كيريل أسقف الإسكندرية الذي كان معارضا بشدة لاعتقادات نسطور، تم إدانته بالهرطقة ونفيه إلى مصر إلى أن مات بها. للمزيد عن الكنيسة الشرقية راجع: عزيز عطية، المرجع السابق، الصفحات

(14) عزيز عطية، المرجع السابق، ص445.---(15) جانا فالتروفا (Janna Valtrova)، أستاذة مساعدة في قسم الدراسات الدينية بجامعة التشيك أين حصلت على رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه، لها اهتمامات في العديد من المواضيع من أهمها الارساليات المسيحية، والتعميد، والمسيحية الهندية.

(16)- Valtrovà, Op.Cit, p203.---- (17) - Henry Yule ; Cathay and way thither, being a collection of medieval notices of China ; vol3 ; munshiram manharlal ; New Delhi ; 1916, p10.

(18)- Peter Jackson; the Mongols and the West 1221-1410; Routledge, London, New York, 2016, p262,263.

(19)- الرهبان السبعة الذين تم ارسالهم لينصبوا كورفينو رئيسا للأساقفة ويساعدوه في مهمته هم: جيرارد(Gerard) ، بيرجرين(Pergrin)، أندري دي بيروس(André de Pérouse)، ويليام فيلونوف (William of Villeneuve) نيقولا دي بوترا(Nicolas de Bautra)، بيتر اوف كاستل(Peter of Castile)، أندري الأسيزي(Andrutuis D'Assise)، الثلاثة على التوالي في آخر القائمة هم الذين ماتوا بالهند. انظر:Yule, 1916, op. cit, p10

(20)- Yule, op. Cit, p10.

(21)- ماريان دورتي (Marianne O'doherty)، أستاذة في الأدب والثقافة في العصور الوسطى المتأخرة من جامعة ساوثهامبتون بالمملكة المتحدة، حصلت على الماجستير والدكتوراه من جامعة ليدز، تركز أبحاثها على الخرائط والأماكن الجغرافية وروايات السفر المرتبطة بفترة العصور الوسطى.

(22) - O'doherty,Op.Cit, p52.----- (23) - Yule, p63.

(24)- تم العثور على رسالتين للراهب جوردانيس يرجع تاريخ الأولى إلى أكتوبر 1321م موجهة لأعضاء طائفته (الدومنيكان) وطائفة الفرنسيسكان المقيمين في توريس وتونجان ومراغة مشيرا إلى أهم ثلاث محطات تم تكييفها لإنشاء البعثات في كل من باروكو (paroco) وكولومبيوم (coulam or quilon) وسوبرا (supera).

(25)- زيتون (zaytun): الاسم العربي لـ Quanzhou، ميناء في إمارة Fujian، في دولة الصين، مثل أحد المحطات والموانئ الهامة للمبادلات التجارية مع مختلف دول العالم وأوروبا خلال فترتي سونغ ويوان. للمزيد راجع: عادل هلال، المرجع السابق، ص243.

(26)- Henry Yule; Cathay and way thither, being a collection of medieval notices of China; vol2; munshiram manharlal; New Delhi; 1913, p10.

(27)- Jordanus Catalani: Mirabilia Descripta: the wonders of the east; trans: Henry Yule, hakluyt society; 1863, p vi.

(28)- ولد الراهب أودوريك البوردينوني (Odoric of Pordenone) سنة 1286م في مدينة بوردينون التي ينسب إليها، انضم إلى رابطة القديس فرنسيس وهو في سن صغيرة إذ لم يتجاوز وقتها الـ 15 عاما، ثم أصبح قسا بعد عشر سنوات، وحين أبدى رغبته في الالتحاق بالبعثات الكاثوليكية إلى آسيا لاقى تشجيعا من مقدم طائفته، للمزيد عنه وعن بعثته راجع: Yule, Op. Cit, vol 2

(29)- yule, 1913, p117-122.----- (30)- Christopher Dawson, Mission to Asia: narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and china in the thirteenth and fourteenth Centuries; trans: Nun of Stanbrook Abbey; haper; New York; 1966, pxxxiv.

(31)- Yule, 1863, Op.Cit, pp. 55,56.---- (32)- Yule, 1916, Op. Cit, p. 76.---- (33)- Yule, 1863, Op. Cit, p. vii.---- (34)- Ibid, p. viii.---- (35)- Valtronà, 2008, Op. Cit, p. 198.---- (36)- Yule, 1916, Op. Cit, p. 30.---- (37)- Ibid, p. 76.----- (38)- Yule, 1913, Op. Cit, p. 129.----- (39)- Ibid, pp. 117-133.

(40)- Yule, 1916, Op. Cit, p191.---- (41)- Valtronà, Op.Cit, p203.

(42) - أندرو أوف بيروجيا (Andrew of Perugia)، أحد الرهبان الفرنسيسكان الذين عينهم البابا للالتحاق بمهمة كورفينو بالصين لمساعدته على التنصير، عينه كورفينو أسقفا على مدينة زيتون، وقد استمر نشاطه إلى سنة 1332م، له رسالة بتاريخ 1326م إلى البابا يصف فيها طبيعة مهمته. للمزيد أنظر: Yule,Op. Cit, vo3

(43)- Yule, 1916, Op.Cit, p75.----- (44)- O'doherty, Op.Cit, p274.